الإبداع

ماء الصبيحة

شعر

طالب همّاش*

أزرقاً ينعسُ البدرُ فوق الغديرِ...

مذهّبةَ اللونِ تشرقُ شمسُ الصبيحةِ

مع زقزقاتِ العصافيرِ بين الغصونِ...

وتبزغُ كالمزهريّةِ شفّافةً من قداستها الصافيهْ.

وكطلعةِ شمسٍ على ساقيةْ..

* شاعر سوري.

العمل الفني: الفنان رشيد شمه.

لاحَ لي وجهُ تلكَ الصبيّة
وهـــو يطـــلُّ كزفّةِ ســـربٍ صغيرِ
البلابلِ
مع جهجهاتِ الأهلّة في ناظريَّ
وغفوةِ نهـدِ السمــاءِ المدوّر في
الظلمةِ الصاحيهْ.

لاحَ أجمـلَ من زهرةٍ تتشرّب ماءَ
الشروقِ المذهّبَ
تحتَ سماءٍ حماميَّةِ الغيم،
أصفى من الخمرِ في الآنيهْ!

لاحَ لي النورُ مثل الإوزّةِ ذات الجناحينِ
وهي تحلّق مائيّةَ اللونِ فوق البساتينِ
لاحــت عرائسُ لـوزٍ مكلّلــةٌ بزهورٍ من
النورِ،
والأرضُ بيضــاءَ، مطويّــةٌ كقمــاطِ
الطفولةِ
فوقَ السفوحِ
مشارقُها العاطره.

فاستحالَ الهــواءُ إلى هدهداتِ ضفائرَ
مضفورةِ الخصلاتِ
استحــالَ السحابُ إلى مطــرٍ (أبيضٍ)
للرضاعةِ
ما بينَ قلبينِ طفلينِ..
والثلــجُ فوق رؤوسِ الصنوبرِ (أكوازٌ) من
شهوةٍ مسكرهْ!

واستحلتُ إلى بلبلٍ سابحٍ في نسيم الأنوثةِ
كاللحن

روحـــي تحلّــق مثــلَ الفراشــةِ نشوانةً
بالحفيفِ
وقلبي الصغيرُ استحالَ إلى قبّرةْ.

لا النسائــمُ بعدُ استفاقــتْ رياحينُها في
الشبابيكِ
كي تتنفّسَ أرواحُنا كالقطاةِ
ولا صوتُ فيروزَ صلّى الصبيحةَ
مع شقشقات التباشيرِ
لكن سمعتُ صدى صوتها البلبليّ البعيد
استماعَ الغصونِ إلى صوتِ عصفورةٍ في
السهولِ
فراحتْ ترفرفُ في شهواتي الفراشاتُ
والآسُ يلسعني بدبابيسه الخدره.

رشفةً رشفةً
تنهلُ القبّرات لبانَ الزهورِ
وترفعُ نحو السماءِ مناقيرها
لتغنّي إلى اللّه
والريحُ مفعمةٌ بالرحيقِ
تهزُّ الغراسَ فترقصُ أجراسها
فوقَ صلبانِ أجسادها العاطرةْ.

باكراً يتلألأُ مــرأى الغصونِ التي يتدلّى
سفرجلُها ناضجاً كالنهودِ
ورفُّ الطيورِ التي سكنتْ كالثمارِ صدورَ
الدوالي
يزقزقُ مثنى.. ثلاثاً.. وأعشارَ
تملأُ أصواتها بالأغاني سماءَ الأملْ.
باكــراً تتراءى ليَ الشمسُـ عيناً مقدَّسةَ
الحزنِ،
حمراءَ سكرى كقرصِ العسلْ!

باكراً تستهــلّ الطبيعةُ أوقاتها بالوقوفِ
دقائقَ حبٍّ
على النهرِ كالمصطفاةِ
وتأتي الصبايا الصغيراتُ
كي يقتطفنَ زنابقَ من شهوةٍ وحليبٍ
ويودعنها صدرهنَّ الرضيعَ..
وتأتي النساءُ الصبياتُ كي يغتسلنَ على
مشهدٍ مشمسٍ في الربيعِ
ويمنحــنَ أجسادهــنَّ بياضَ السحابِ

الشهيّ
ومن منبع النبع يُرضعــنَ أثداءهنَّ مياهَ
الأسى الصاديهْ

والعرائسُ كي يسترحنَ على حجر البئرِ
مثلَ القطيّاتِ
أو يستحلــنَ إلى سوسنــاتٍ علــى شفةِ
النبعِ..
كي ينغمسنَ بماءِ الغيومِ
ويفرغنَ جوفَ الخوابي من الحزنِ،
يملأنها بالمياه التي يُشربُ الدمع منها
وتأتي فتاةٌ لتبصرَ صورتها المشتهاةَ
يذوّبها الدمعُ في نبعِ ماءٍ صبيّ
فترجعُ ضاحكةً، باكيه!

وتغنّي بصوتٍ صديٍّ على مسمعِ النهرِ
أغنيةً من أنوثتها المشتهاةِ
فتشرعُ بالزقزقاتِ سنونوّةٌ من صلاةٍ
وتغدو الحروفُ عنادلَ غرّيدةً
في فراديسها الباكره.

وتذوقُ بعينينِ مغمضتينِ
عذوبةَ صبح تعزُّ على الوصفِ
حيث السطوحُ التي تتلامعُ خضراء عندَ
الشروقِ
وراهبةُ الكستناءِ ترشُّ النبيذَ المقدّسَ
فوق غراسِ الضحى الغافيهْ.

كانَ فجراً جميلَ الطفولةِ
أزهارهُ باقةٌ من شموسٍ
تفتّحُ زهريّةَ اللونِ كالجلنارِ
دواليهِ يانعةٌ تتدانى عناقيدُها بتشهٍّ
ومن كلّ برعمِ وردٍ
تشعُّ قطيرةُ ضوءٍ
وتسقطُ في الماءِ كالدمعةِ الباكيه!

كنتُ أشربُ نسغَ الثمارِ التي
انعقدتْ كالثّرياتِ في أضلعِ البرتقالِ
وأجلس تحتَ نهودِ الدوالي
لألمسَ أثداءها بالكؤوسِ
فتدمعُ في الكأسِ قطراتها الصافيهْ.

هذه الأَرضُ رائقةٌ تتأَلقُ
سكرى برائحةِ العشبِ
ترشفُ مثل الوليـــدةِ من رعشاتِ الغيومِ
منيَّ المطرْ..

والسمـــاءُ التـــي تـــتراءى لباصرتـــي
كالبحيراتِ
سجّادةً من مروجٍ مطعّمةً بالشقائقِ،
والطرقاتُ جداولَ مملوءةً بالحليبِ،
وظـــلُّ السحابـــةِ مسترســـلاً في أديمِ
السواقي
يرفـــرفُ مثل طيـــورِ القطـــا في خيال
النهرْ.
طائرَ البحرِ يا قلبيَ العاشقَ الشمسَ
ذابتْ شموعُ المغيبِ

فَضُمَّ بجنحيكَ وجهك واغفُ
ستصعدُ شمس الصبيحةِ كالبرتقالةِ من
بئرها بعدَ حينٍ
وتملأُ أسماعنا سقسقاتُ الحساسينِ
ممزوجةً بحليبِ المطرْ!

لكأَنَّ سماءَ الأَنوثةِ سكّرةٌ لا تذوبُ سوى
في سواقي الصبابةِ أَو تستحمْ.

وكأَنَّ الطبيعةَ أمّْ

تبذلُ اللوزَ من صدرها العذبِ للعندليبِ
الرضيعِ
وتلقمُ أَثداءها للبراعمِ
كيما تفوحَ بتفّاحها الحلوِ في كلّ فمْ